

التحرير والتنوير

ووقعت في كتاب الخروج من التوراة في الإصحاح الثاني والثلاثين زلة كبرى إذ زعموا أن هارون صنع العجل لهم لما قالوا له : " اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأننا لا نعلم ماذا أصاب موسى في الجبل فصنع لهم عجلا من ذهب " . وأحسب أن هذا من آثار تلاشي التوراة الأصلية بعد الأسر البابلي وأن الذي أعاد كتبها لم يحسن تحرير هذه القصة . ومما نقطع به أن هارون معصوم من ذلك لأنه رسول .

(فرجع موسى إلى قومه غضين أسفا قال يقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفتال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتكم موعدي [86]) الغضب : انفعال للنفس وهيجان ينشأ عن إدراك ما يسوءها ويسخطها دون خوف والوصف منه غضبان . والأسف : انفعال للنفس ينشأ من إدراك ما يحزنها وما تكرهه مع انكسار الخاطر . والوصف منه أسف . وقد اجتمع الانفعالان في نفس موسى لأنه يسوءه وقوع ذلك في أمته وهو لا يخافهم فانفعاله المتعلق بحالهم غضب وهو أيضا يحزنه وقوع ذلك وهو في مناجاة الله تعالى التي كان يأمل أن تكون سبب رضى الله عن قومه فإذا بهم أتوا بما لا يرضي الله فقد انكسر خاطره بين يدي ربه .

يقرع وهو السامري وفيهم هارون وفيهم قومه جماعة في موسى قيام وصف ابتداء وهذا A E أسماعهم بزواج وعظه فابتدأ بخطاب قومه كلهم وقد علم أن هارون لا يكون مشايعا لهم فلذلك ابتدأ بخطاب قومه ثم وجه الخطاب إلى هارون بقوله قال (يا هارون ما منعك) .

وجملة (قال يا قوم) مستأنفة بيانية . وافتتاح الخطاب ب (يا قوم) تمهيد للوم لأن انجرار الأذى للرجل من قومه أحق في توجيه الملام عليهم وذلك قوله (فأخلفتكم موعدي) .

والاستفهام في (ألم يعدكم ربكم) إنكاري ؛ نزلوا منزلة من زعم أن الله لم يعدهم وعدا حسنا لأنهم أجروا أعمالهم على حال من يزعم ذلك فأنكر عليهم زعمهم . ويجوز أن يكون تقريريا وشأنه أن يكون على فرض النفي كما تقدم غير مرة .

والوعد الحسن هو : وعده موسى بإنزال التوراة ومواعده ثلاثين ليلة للمناجاة وقد أعلمهم بذلك فهو وعد لقومه لأن ذلك لصالحهم ولأن الله وعدهم بأن يكون ناصرا لهم على عدوهم وهاديا لهم في طريقهم وهو المحكي في قوله (وواعدناكم جانب الطور الأيمن) .

والاستفهام في (أفتال عليكم العهد) مفرع على قوله (ألم يعدكم ربكم) وهو استفهام إنكاري أي ليس العهد بوعد الله إياكم بعيدا . والمراد بطول العهد طول المدة أي بعدها أي

لم يبعد زمن وعد ربكم إياكم حتى يكون لكم بأس من الوفاء فتكفروا وتكذبوا من بلغكم الوعد وتعبدوا ربا غير الذي دعاكم إليه من بلغكم الوعد فتكون لكم شبهة عذر في الإعراض عن عبادة الله ونسيان عهده .

والعهد : معرفة الشيء وتذكره وهو مصدر . يجوز أن يكون أطلق على المفعول كإطلاق الخلق على المخلوق أي طال المعهود لكم وبعد زمنه حتى نسيتموه وعلمتم بخلافه . ويجوز أن يبقى على أصل المصدر وهو عهدهم الله على الامتثال والعمل بالشرعية . وتقدم في قوله تعالى (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) وقوله (وأوفوا بعهدى) في سورة البقرة . و (أم) إضراب إبطالي . والاستفهام المقدر بعد (أم) في قوله (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) إنكاري أيضا إذ التقدير : بل أردتم أن يحل عليكم غضب فلا يكون كفركم إذن إلا إلقاء بأنفسكم في غضب الله كحال من يحب أن يحل عليه غضب الله . ففي قوله (أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) استعارة تمثيلية إذ شبه حالهم في ارتكابهم أسباب حلول غضب الله عليهم بدون داع إلى ذلك بحال من يحب حلول غضب الله عليه ؛ إذ الحب لا سبب له .

وقوله (فأخلفتم موعدي) تفريع على الاستفهام الإنكاري الثاني . ومعنى (موعدي) هو وعد الله على لسانه وإضافته إلى ضميره لأنه الواسطة فيه . (قالوا ما أخلفنا موعداك بملكنا ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفنها) وقعت جملة (قالوا) غير معطوفة لأنها جرت في المحاوراة جوابا عن كلام موسى " عليه السلام " . وضمير (قالوا) عائد إلى (القوم) وإنما القائل بعضهم تصدوا مجيبين عن القوم كلهم وهم كبراء القوم وأهل الصلاح منهم